سُورَةُ المُزَّمِّلِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ [المزمل: ٦]

القراءات: «وطئا»: قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها همزة وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء بلا مد ولا همز.

المعنى: قال الرازي: «وطئًا» أي مواطأةً وملاءمةً وموافقةً وهو مصدر؛ يقال واطأت فلاناً على كذا مواطأة ووطأة ومنه ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] أي ليوافقوا فإن فسرنا الناشئة بالساعات كان المعنى أنها أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وإن فسرناها بالنفس الناشئة كان المعنى شدة المواطأة بين القلب واللسان وإن فسرناها بقيام الليل كان المعنى ما يراد من الخشوع والإخلاص وإن فسرناها بما ذكرت كان المعنى: إن إفضاء تلك المجاهدات إلى حصول المكاشفات في الليل أشد منه في النهار. وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ جمهور العشرة «وطئا» بفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة والوطء: أصله وضع الرجل على الأرض وهو هنا مستعار لمعنى يناسب أن يكون شأنا للظلام بالليل فيجوز أن يكون الوطء استعير لفعل من أفعال المصلي على نحو إسناد المصدر إلى فاعله أي واطئًا أنت فهو مستعار لتمكن المصلي من الصلاة في الليل بتفرغه لها وهدوء باله من الأشغال النهارية كتمكن الواطئ على الأرض فهو أمكن للفعل والمعنى : أشد وقعًا وبهذا فسره جابر بن زيد والضحاك وقاله الفراء. ويجوز أن يكون الوطء مستعارًا لحالة صلاة الليل وأثرها في المصلي أي أشد أثر خير في نفسه وأرسخ خيرًا وثوابًا وبهذا فسره قتادة وقرأه ابن عامر وأبو عمرو وحده «وطاء» بكسر الواو وفتح الطاء ومدها مصدر واطأ من مادة الفعال. والوطاء: الوفاق والملائمة قال تعالى ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ والمعنى أنّ صلاة الليل أوفق بين اللسان والقلب

أي بين النطق بالألفاظ وتفهم معانيها للهدوء الذي يحصل في الليل وانقطاع الشواغل وبحاصل هذا فسر مجاهد.

وقال د/ محمد محيسن: قرئ «وطاءً» على وزن «فِعال» مصدر «واطأ»، وقرئ «وطئًا» مصدر «وطئ».

وقال الرازي: قرئ «أشد وطئا» بالفتح والكسر وفيه وجهان:

الأول- قال الفراء أشد ثبات قدم لأن النهار يضطرب فيه الناس ويتقلبون فيه للمعاش. **الثاني-** أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار. وهو من قولك اشتدت على القوم وطأة سلطانهم إذا ثقل عليهم معاملتهم معه. وفي الحديث« اللهم اشددْ وطأتك على مُضَر» فأعلم الله نبيه أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها. ونظير قوله عليه الصلاة والسلام «أفضل العبادات أحمزُها» أي أشقها واختار أبو عبيدة القراءة الأولى قال لأنه تعالى لما أمره بقيام الليل ذكر هذه الآية فكأنه قال إنما أمرتك بصلاة الليل لأن موافقة القلب واللسان فيه أكمل وأيضاً الخواطر الليلية إلى المكاشفات الروحانية أتم. **قلتُ**: الحديث الذي ذكره لا يصح.

وقال أبو حيان: وقرأ الجمهور: وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ممدوداً وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة: بكسر الواو وسكون الطاء والهمزة مقصورة، والمعنى أنها أشد مواطأة أي يواطئ القلب فيها اللسان أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص ومن قرأ «وطأ» أي أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل وأثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار كما جاء: «اللهم اشدد وطأتك على مضر». **وقال الأخفش**: أشد قياماً وقال الفراء: أثبت قراءة وقياماً وقال الكلبي: أشد نشاطاً للمصلي لأنه في زمان راحته وقيل أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت فراغ فالعبادة تدوم.

قلتُ: قراءة «وطئًا» بكسر الواو شاذة، والجمهور لم يقرأوا «وطاءً» كما قال أبو حيان، وإنّما قرأها كذلك أبو عمرو وابن عامر فقط.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر «ربُّ المشرق» وقرأ الباقون «ربِّ المشرق».

التوجيه: قال الرازي: قرئ بالرفع «رب» وفيه وجهان:

أحدهما- على المدح، والتقدير وهو رب المشرق فيكون خبر مبتدأ محذوف كقوله تعالى ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [الحج: ٧٢] وقوله تعالى ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [آل عمران: ١٩٧] أي تقلبهم متاع قليل. **والثاني-** أن ترفعه بالابتداء وخبره الجملة التي هي «لا إله إلا هو» والعائد إليه الضمير المنفصل. **والقراءة الثانية:** الخفض وفيها وجهان:

الأول- على البدل من ربك- **الثاني-** قال ابن عباس: على القسم بإضمار حرف القسم كقولك: الله لأفعلن وجوابه: لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠]

القراءات: «ثلثي الليل» قرأ هشام بسكون اللام والباقون بضمها، «ونصفه وثلثه»: قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بنصب الفاء والثاء وضم الهاء فيهما وقرأ الباقون بخفض الثاء والفاء و كسر الهاء فيهما.

التوجيه: قال القرطبي: «وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ» بالخفض قراءة العامة عطفاً على «ثُلُثَيَ» والمعنى تقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ فكيف يقومون نصفه أو ثلثه وهم لا يحصونه، وقرأ ابن كثير

والكوفيون «وَنِصْفَهُ وَثُلُثَه» بالنصب عطفاً على «أَدْنَى» والتقدير: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه. قال الفراء: وهو أشبه بالصواب لأنه قال أقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا أقل من القِلة وقال القُشَيْري: وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي الزيادة إصابة المقصود فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل أنهم أمروا بقيام نصف الليل ورُخِص لهم في الزيادة والنقصان فكانوا ينتهون في الزيادة إلى قريب من الثلثين وفي النصف إلى الثلث ويحتمل أنهم قدّرلهم النصف وأنقص إلى الثلث والزيادة إلى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك إلى أن نُسخ عنهم.

فائدة: قال الألوسي: واستشكل أيضاً هذا المقام على تقدير كون الأمر وارداً بالأكثر- أي في قوله تعالى قم الليل إلاّ قليلاً - بأنه يلزم إما مخالفة النبي ﷺ لما أمر به أو اجتهاده والخطأ في موافقة الأمر وكلاهما غير صحيح أما الأول فظاهر لا سيما على كون الأمر للوجوب وأما الثاني فلأن من جوز اجتهاده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والخطأ فيه يقول إنه لا يُقَرّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الخطأ وأجيب بالتزام أن الأمر وارد بالأقل لكنهم زادوا حذرًا من الوقوع في المخالفة وكان يشق عليهم وعلم الله سبحانه أنهم لو لم يأخذوا بالأشق وقعوا في المخالفة فنسخ سبحانه الأمر كذا قيل فتأمل.

قلتُ: قد أحسن **أبو حيان** رَحِمَهُ اللَّهُ في توجيه القراءتين، فقال: قراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة لأنه إذا قام الليل إلا قليلاً صدق عليه «أدنى من ثلثي الليل» لأن الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئًا من الثلثين فيصدق عليه قوله: «إلا قليلاً» وأما قوله: «ونصفه» فهو مطابق لقوله: أولا «نصفه» وأما ثلثه فإن قوله: «أو انقص منه قليلاً» قد ينتهي النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلث الليل وأما قوله: «أو زد عليه» فإنه إذا زاد على النصف قليلاً كان الوقت أقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله: «أدنى من ثلثي الليل» ويكون قوله تعالى: «نصفه أو انقص منه قليلاً» شرحاً لمبهم

ما دل عليه قوله: «قم الليل إلا قليلاً» وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جبير: معنى تحصوه: تطيقوه أي قدّر تعالى أنهم يقدِّرون الزمان على ما مر في أول السورة فلم يطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف تعالى عنهم فضلاً منه لا لعلة جهلهم بالتقدير وإحصاء الأوقات وأما قراءة الجر فالمعنى أنه قيام مختلف مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من النصف ومرة أدنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة إنما هو لله تعالى والبشر لا يحصون ذلك أي لا يطيقون مقادير ذلك فتاب عليهم أي رجع بهم من الثقل إلى الخفة وأمرهم بقيام ما تيسر وعلى القراءتين يكون علمه تعالى بذلك على حسب الوقوع منهم لأنهم قاموا تلك المقادير في أوقات مختلفة؛ قاموا أدنى من الثلثين ونصفًا وثلثًا وقاموا أدنى من النصف وأدنى من الثلث فلا تنافي بين القراءتين.

قلتُ: ولكن يبقى استشكال قراءة الجر، لأنّ قيامه أقل من النصف وأقل من الثلث قد يعارض أول السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ [المزمل: ١- ٤]، والجواب أنّ قيامهم أدنى من ثلثي الليل لا يعارض قوله «نصفه»، وقيامهم أدنى من نصفه لا يعارض قوله: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أي انقص من النصف قليلًا، وقيامهم أدنى من ثلثه لا يعارض قوله: ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أيضًا لأنّ الثلث كثير – كما في الحديث – فإذا انقصوا عنه شيئًا يسيرًا لم يكونوا تاركين لقوله: ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أو يقال: من أنقص عن الثلث ظنّ أنّه قد أنقص عن النصف قليلًا، ولكن قد أخطأ في اجتهاده، وعُذر لعدم قدرته على إحصاء ذلك، وأما قوله «نصفه» فلا يعارضه قيامهم أدنى من الثلثين، فإنّه قد ينتهي إلى النصف، وأما قوله: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ فإنّ الزيادة على النصف قد تنتهي إلى أن تكون أقل من الثلثين أيضًا.

❁❁❁